نقد الادب مفهوم واجراء

النقد بمفهومه العام عملية فكرية لا تنفصل عن الذوق في الاهتمام بالفن، فهو إبداع بدرجة معينة في التعبير، لا يغيب عنها العقل في الإجراء، ومادته الفن بجميع اشكاله، يرمي الى تحقيق غاية إنسانية مؤداها تيسير تلقي الفن وتوفير القدرة للتعامل معه. لذا يمكن ان نسميه فن النقد ويشترط فيه التأثير بعد الإيصال، فهو إبداع بيد انه لا ينفصل عن غاية الإقناع.

جوانب النضج

والنقد الأدبي يهتم بالأدب بالدرجة الأولى فهو موضوعه من بين الفنون. ويقوم جوهر النقد الأدبي أولا على الكشف عن جوانب النضج الفني في الانتاج الأدبي، وتمييز بعض الاعمال عما سواها عن طريق الشرح والتعليل، ثم يأتي بعد ذلك الحكم العام عليها. لذا فلا بد للناقد من معرفة الفن والادب والتعريف بمفاهيمها وتحديد اصطلاحاتهما ليتسنى له التعامل معهما، وهو ما أوجب على الناقد دراسة نظرية الادب لتكون منطلقا لتأسيس نظرية النقد وتنظيم برامجها في التعامل مع الادب، والنظرية الادبية تعني مجموع الاسس والمنطلقات والمعايير التي تستقى من دراسة واقع الادب فتشتق منها المفاهيم والمصطلحات.

وهكذا يمكن تعريف الفن والادب منه خاصة بأكثر من تعريف بحسب المنطلق الذي ننطلق منه في التعريف، كأن يكون منطلقنا اجتماعيا، فنعرف الفن بانه: ظاهرة اجتماعية ونشاط إنساني يعبر عن تطلعات الجماعات الانسانية ومُثُلها العليا، وهو محاولة لتحقيق الخير والكمال للرقي بهذه الجماعات وهو وسيلة لتحقيق التواصل الاجتماعي عن طريق التعبير عن المشكلات والقضايا الإنسانية المصيرية.

عاطفة منتجة

وهناك وجهات نظر أخرى في تحديد مفهوم الفن بحسب توجهات المهتمين كأن نعرفه بانه: الإنتاج البشري الذي يعبر عن عاطفة منتجه وموقفه من الوجود تعبيرا منظما ومقصودا يثير في متلقيه نظير ما أثارته التجربة والوجود في نفس منتجه من عاطفة وموقف. والادب في كل الاحوال لايخلو من الجمال، وما يميزه عن بقية الفنون ان أداته في التعبير هي اللغة.

والناقد في تعامله مع الادب لابد له من امتلاك الأداة المعرفية التي تمكنه من تيسير اهدافه، وبذا تكون المناهج النقدية وسائل اجرائية لتطبيق فرضيات النقد.

فالمنهج :هو الطريقة التي يتعامل الناقد بها مع الادب على وفق نظام موضوعي وعملي في خطوات تؤدي الى نتائج، بحيث يفصح عن الطريقة الابداعية التي عالج فيها المبدع، أو الأديب، الموضوع.

نظام موضوعي

والنقد في أساسه يعتمد الموهبة وهذا يعني الإبداع وهو حسن الذوق ومعرفة الفروق بين الأساليب، ومن اهدافه التفسير والتحليل وهذا يأتي من ثقافة موضوعية ليسير باتجاه منضبط علميا وبذلك فهو يتخذ طريق العلم ومهما امتلك الناقد من معرفة الا انه يحتاج الى الموهبة لانها هي الشحنة التي تزود الابداع.

وللنقد مناهج متنوعة ظهرت جرّاء حركة التطور في الفكر الانساني حيث اختلفت الاجراءات التي مورست على الادب، ويمكن تصنيف تلك المناهج الى قسمين رئيسين:

الاول: مناهج تحاول ان تدرس البيئة التي أنتجت الأدب وأثرت فيه وانعكست عليه، فهي تتعامل مع الادب بمنظار البيئة،وهذه المناهج هي (المناهج السياقية) وهي المناهج التي تهتم بالسياق الذي أنتج الادب في اطاره وتحاول إيجاد اثر هذا السياق في الادب فهي تدرس ماحول النص لتتفهم النص أولتبين الظواهر الموجودة في النص بموجب معيار ذلك السياق ومنها (التاريخي والاجتماعي والنفسي).

الاخر: يشمل مناهج نصية لاتهتم بما حول النص ولا تعطي أهمية للسياق التاريخي والاجتماعي والنفسي وغيرها الذي ورد فيه النص على حساب النص انما تهتم بدراسة النص في ذاته ولذاته لانها تعتقد ان العمل الابداعي له اشتراطات منها:

أولا: أن النص يحمل معناه في ذاته

ثانيا: أن الظواهر الأدبية في داخل العمل الادبي تتاثر بالنسق اللغوي والفكري الذي وردت فيه والذي يحمله النص.

وقد ظهرت انواع هذا القسم بعد تطور المنظومة المعرفية التي اثرت في فهم الادب فالزمت تطوير طرق التعامل معه.

وكانت البنيوية اول المناهج النصية وهي جاءت نتيجة تطور الانسان مع العصر الحديث وسميت (منهج الحداثة)، وجاءت مع هذا المنهج مناهج رديفة وبديلة مجاورة وهي السيميائية والاسلوبية، وجاءت على اثرها مجموعة من المناهج المضادة ومنها التفكيكية وسميت ما بعد البنيوية أو ما بعد (الحداثة) فضلا عن القراءة والتلقي، ثم جاءت بعد التفكيكية مجموعة اجراءات نقدية ومقولات منها النقد النسوي والنقد الثقافي وما بعد الكولنيالية.

قبل هذا كله كان النقد يعتمد الانطباع الشخصي وهو مثلا ان نقول: هذا احسن من هذا وهذا افضل من هذا، وهو مستند في حكمه الى معيار او منهج معين، ولم يصدر احكامه جزافا وعن فراغ كما يتصور بعض الباحثين.

وقبله كانت المناهج ألقديمة الموروثة وكان أبرزها (المنهج البلاغي) وغيرها التي كانت وليدة المرحلة مثل منهج الموازنة والطبقات الذي طبقه ابن سلام، وهذه تختلف في مقصدها وغايتها وأدواتها عن المناهج الحديثة.

ولايغيب عن بالنا اثر العامل السياسي على طرفي عملية الابداع ،اي انتاج الادب وتلقيه، وبالتالي اثره على النقدفي سعيه لتحقيق حضوره في عملية بناء المجتمع على وفق المنظومة السياسية في أدلجة الفكر في المجتمعات الانسانية وهو ما حدا ببعض الباحثين مثل (تيري ايغلتن) الى افراد عنوان لاحد فصول كتابه نظرية الادب باسم النقد السياسي.

ومن المفيد تطبيق هذه الفرضيات والتزامها في الاجراء النقدي بحيث نجعل القارئ قادرا على تحقبق فهم من نوع معين لمعنى الأدب.

ا م د.فرحان بدري الحربي
استاذ النقدالادبي الحديث
في كلية التربية للعلوم الانسانية بجامعة بابل